

## المقدّمة

# ظهور الوهابيّة مبدأ تاريخ نجد الحديث والهجرة العربيّة والشرق الأدنى

- ١ -

### مبدأ تاريخ نجد الحديث

« يبدأ ابن بشر تاريخ نجد الحديث بالسنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، ففيها بدأت نجد .. تكتشف نفسها ، وتعي رسالتها ، وتضع وحدتها ، وتبني نهضتها .

وقبل ذلك ، وحتى القرن الثاني عشر ، كانت « نجد » تعبيراً تاريخياً أو جغرافياً ، ، في الكتب القديمة ، وأما « في الواقع » ، فما كان شيء يذكر بوحدتها أو وجودها .. وإنما كانت هناك مجموعة كبيرة من الإمارات والمشيخات ، تنفرد كل واحدة منها بسلطانها ، وتعزّز باسمها ولا ترى شيئاً فوقه ، وقد تحالف

أحياناً لقتال الآخرين واستباحة ديارهم وأموالهم ، ولكنها متى فرغت من قتال عدوها ، عادت تتقاتل فيما بينها ، ولما يجفّ مداد عهدها ، ودم جندها .

كانت كل عشيرة في نجد دولة ، وكل بلدة إمارة أو مشيخة ، بل حدثوا أن بلدة واحدة صغيرة قسمت أرباعاً ، فكان يتولى كل ربع فيها رئيس .<sup>(١)</sup>

وكانت الحرب ، بين هذه الدويلات الصغيرة العجيبة قائمة موصولة ، كأنها جزء من طبيعتها ، فكانت البلاد تعيش في رعب دائم ، بين عدو يأخذها بالقهر ، وحليف يأخذها بالغدر ، وما كانت تعرف السكينة والأمن والحرية إلا قليلاً ، ففي الحرب يُقتل أبناؤها ، ويدمر بناؤها ، ويجرق نخيلها ويتلف زرعها ، وفي فترات السلم يُحبس الناس في بلدانهم ، فما يستطيعون الإبتعاد عنها الا بمغامرة ... لأن الطرق مرصودة ... بالجن ... وقطاع الطرق ... وطلاب الغرة !

هكذا كانت نجد ... تجديداً وتجديداً لقصة ملوك الطوائف ، الذين قال فيهم المؤرخ الكبير « الطبري » :

« كل منهم كان ملكه قليلاً ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق ، وعدوه قريب منه ، له من الأرض مثل ذلك ونحوه ، بغير أحدم على صاحبه ، ثم يرجع كالخطفة »<sup>(٢)</sup>

وقال صاحب « لمع الشهاب » يصف نجداً في تلك الأيام :

« ليس هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم ، بل كل من الحكام حاكم بلده .. والبداءة إذ ذاك قبائل شتى ... وحكومة كل شيخ في قبيلته برضاها ، وكل من تقدم كرمًا وشجاعة رضوا به كبيراً لهم ، وفيهم مشايخ صغار

---

١ - قال ابن بشر : « قتل صاحب التويم ... فقسموا البلد أرباعاً ، كل واحد شاخ في ربع فسموا المربعة ... وإنما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها نعمة الاسلام والجماعة ، فان هذه القرية ضعيفة الرجال والمال ، وصار فيها أربعة رؤساء ... »

٢ - يطلق اسم ملوك الطوائف ايضاً على رؤساء الدويلات الاندلسية ، الذين أضاعوا بلادهم ، لتفرقهم وتخاذلهم وتحاسدهم ، وكانوا مع حقارة شأنهم على جانب كبير من الغرور ، حتى قال شاعرهم :  
ألقاب مملكة في غير موضعها      كاهل يحكي انتفاخاً صولة الاسد .

في نفس القبيلة الواحدة يخالفون رأي المشايخ الكبار ، وكان البدو يتحاكمون في قضاياهم الى العرف ، لا الى الشرع ، وقد يأخذ العرف منهم الرشوة ، وهي ... ما يعطى لإبطال الحق ...

والحكام طاغون ، يصدّون الناس عن أحكام الشرع ... وكان أهل المدن ، من أهل نجد ، دائماً يحارب بعضهم بعضاً ... » .

قالت لادي بلنت :

« لم تكن الجزيرة العربية خاضعة للسلطنة العثمانية المركزية ، وكانت كل بلدة تبدو مستقلة بذاتها .

وكانت الديانة - الا في شكلها البدوي البدائي - قد زالت من الجزيرة .

وكان عنصر البداوة هو المسيطر ، فكانت كل مدينة ، بل كل قرية في جزيرة العرب ، تعدّ ملكاً أو اقطاعاً لأحد شيوخ العشائر ، الذي يقيم على حدودها وتدفع اليه ( الإخاوة ) - أي الضريبة - لقاء ما يدعيه من حماية لها ! ...

وقد يتخذ الشيخ لنفسه قصرأ ضمن أسوار البلدة - وإن بقيت خيامه وخيام عشيرته منشورة في البادية - ويجعله داراً للضيافة ، ثم يفرض نفسه حاكماً على سكان البلدة ، يمارس السلطة ، ويقيم العدل ، ويؤلف من الفتيان حرساً ، ويجبي الضرائب .. فيخاطبه الناس ، لا باسم الشيخ ، ولكن باسم : « الأمير » . .

خلاصة القول : إن حالة نجد ، في تلك الأيام ، كانت شبيهة ، من الناحية السياسية ، بحالة ملوك الطوائف ، وأما من الناحية الدينية ، فكانت تشبه حال الجاهلية ، إلا من عصم ربك ، ولم يكن الرحالة « بلغريف » مرفأ حين وصف الدين ، في الديار النجدية قديماً ، بأنه « ذكرى بعيدة غامضة ، محتها الأيام ! ... ذلك أن عبادة الجن ، في ظل شجرة ، أو في أعماق كهف ، وتقديس الموتى ، والنذر للقبور ، كل أولئك كان يختلط عند أهل نجد بعبادات « للصابئة » قديمة أحبوها ، بينما أهملوا القرآن ، وما عادوا يعرفون في أية جهة تقع القبلة ، وتناسوا الزكاة والصيام والحج ...

تلك كانت « ديانة » نجد ، لما وصل اليها المصلح محمد بن عبد الوهاب ، ليعث فيها أجل أيام الإسلام ،<sup>(١)</sup>

### نجد بعد الدعوة

كانت نجد ، في تفرق كلمتها وضعف عقيدتها ، تحتاج الى زعيم ملهم ، يعلمها الدين ويحملها على اتباعه ، ويطوي أعلام التفرقة ، وينشر راية الوحدة ، ليجمع الناس في ظلها .

وقد حقق الله ذلك لنجد ، فجعل هدايتها الى الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وقيادتها الى الأمير محمد بن سعود ، وكانا كالرجل الواحد ، أو الروح الواحدة في جسدين ، ما اختلفا قط .

ففي عام ١١٥٧ هـ . ، جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، وما كاد ينزل في دار من أوائل دورها ، حتى سار اليه أميرها محمد بن سعود بنفسه ، وبدأه الزيارة ، وبالف في تكريمه ، ووعدته الحماية والنصرة ، وتعاهدا على ميثاق ، ان يكن غير مكتوب ، فقد وعته الضائر والقلوب ، وهو التناصر بصدق وقوة في الدعوة الى اخلاص العباد لله وحده ، ومكافحة الشرك والبدع ، واقامة حكم الشرع . قال أرمسترونغ :

« كان ابن سعود ، أمير الدرعية ، طموحاً ، وعرف منزلة ابن عبد الوهاب وقدره ، فاتفق معه ، واستطاعا حمل العرب على الدخول في الدين ، ببركة الدعوة وقوة السيف .

وكان نجاحها سريعاً .  
كان ابن سعود زعيماً وقائداً ،

---

١ - انظر كتاب ندره مطران : « سورية الغد »

1 ) Nadra Moutran - La Syrie de demain

وكان ابن عبد الوهاب هادياً وداعياً الى الله ، تسيطر كلماته على خيال العرب .  
وبفضل تعاونها : « حطمت الأوثان » ، وهدمت الأبنية المقامة على أضرحة  
الأولياء ، ونفذت أوامر القرآن ، وأكره الناس على الصلاة خمس مرات في اليوم ،  
وعلى صوم رمضان ، ومنع شرب الخمر والدخان ، وخضعت القبائل ، واحدة  
بعد الأخرى ، لدولة التوحيد .

وقال « كونزاد ملتبورن » :

« أظهر محمد بن عبد الوهاب دعوته ، فتبعه ابن سعود ، وتقوى كل واحد منهما  
بالآخر ، قوتى ابن عبد الوهاب دعوته بسيف محمد ، وقوتى ابن سعود إمارته بدعوة  
ابن عبد الوهاب ، فكان الأول هو الزعيم الديني ، وكان الثاني الحاكم والزعيم  
السياسي ، ثم استمر ذلك بعدهما ، فصارت ذرية كل منهما تتولى عمل أسلافها .

تحولت الدرعية بعد هجرة الشيخ من بلدة ضعيفة فقيرة ، الى مدينة كبيرة  
غنية ، صارت قاعدة دولة عظيمة ، بسطت سلطانها ، في عهد محمد بن سعود ، على  
أكثر بلدان العارض ، وبعض بلاد نجد ، ثم ضمت اليها ، في زمن عبد العزيز وابنه  
سعود ، بلاد نجد كلها ، والأحساء ، وجبل ثمر ، وأجزاء من اليمن وعسير وبلاد  
الحجاز وامتد نفوذها الى الخليج .

قالت لادي بلنت ، تصف الدولة السعودية : « انها أول دولة عربية ، تنشأ بعد  
عصر الرسول ، وتوحد تحت رايته جزيرة العرب على أساس من الشرع والتنظيم  
الاداري المحكم » .

لذلك كان ابن بشر على حق ، حين بدأ كتابه في تاريخ نجد ، بالسنة التي  
هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، وقد استنتج بعض المؤرخين من  
ذلك أنه يشبه هجرة الشيخ بهجرة النبي (ص) . الى المدينة المنورة ، وليس كل الناس  
يستحسن هذا التشبيه ...

والحق إن أبعاد المهجرتين مختلفة ، فليس شيء يماثل هجرة النبي (ص) . ولكن  
التشابه لا يعني التطابق والتساوي ، وحسبنا من أوجه الشبه أن دعوة الشيخ كانت ،  
قبل هجرته الى الدرعية ، دعوة خافتة مضطهدة ، ولكنها أصبحت بعد هجرته دعوة

قوية ، لها رايثها ، ولها جيشها ، ولها دولتها ، ولها منعتها ... فلا يستطيع أمير أو سلطان أن ينفي الشيخ من بلده ، أو يسجنه ، أو يحمله على الصمت ، فالأمر في الدرعية للشيخ نفسه ، ودعوته هي دستور الدولة ومادة حياتها !

لم تكن في نجد دولة لها قوتها التي يرهبها أعداؤها ، ولها مثلها العليا التي يلتف حولها أبناؤها ، ويقدمون بين يديها التضحيات ويصنعون أحداث التاريخ ، فلما تأسست دولة الإسلام في الدرعية ، أخذت الصفوف تتجمع ، والبلدان تتوحد ، فنشأت وحدة في العارض ، ثم وحدة في نجد ، ثم توسع مدلول نجد نفسه ، فنشأت دولة نجد الكبرى - إن صح هذا التعبير !

## مبدأ تاريخ الجزيرة العربية .

لم تكتف الدولة السعودية بتحرير نجد وحدها ، وإنما تجاوزت ذلك كثيراً ، وكانت لحركتها الإصلاحية ، وحروبها الظافرة ، ونحديها لدولة السلاطين العثمانيين ، آثار باهرة في سائر البلاد العربية والإسلامية ، فليس من الانصاف أن نعتبر ظهورها فاتحة تاريخ نجد وحده .

في عام ١١٥٧ هـ . كان محمد بن سعود أميراً على بلدة واحدة : الدرعية . ولما توفي ابنه عبد العزيز - أي بعد ستين سنة - كان ملكه أكبر من الدرعية ألف مرة .. وأكبر من العارض .. وأكبر من نجد ..

وفي عهد سعود الكبير ، توسعت دولة نجد توسعاً جديداً ، فضمت إليها الحرمين ( مكة والمدينة ) وسائر الحجاز ، وجبت الزكاة من بوادي العراق والشام .

وكان آل سعود في طريقهم الى تحقيق حلم .. دولة عربية واحدة ، من البحر المتوسط الى الخليج ، ولكن الترك حسدوم وخافوم ، فاستعدوا أنصارهم عليهم ، وحاربهم واستطاعوا تدمير عاصمتهم الدرعية ، وقتلوا أميرهم عبد الله بن سعود .

قال طه حسين : « .. لولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب ، وحاربوه في داره بأسلحة لا عهد لأهل البادية بها ، لكان من المرجو أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ، كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم في القرن الأول » .

ظن الأعداء ، بعد انهيار الدولة السعودية الأولى ، أن حركة احياء الدين والعروبة التي بدأت في الدرعية قد انطفأت شعلتها وهدمت جذونها ، ولكن الله سبحانه أبى الا ان يتم نوره ، فعادت الدولة السعودية سيرتها الأولى ، وصمدت للدسائس والمكائد والحروب الحاقدة ، وانتصرت في النهاية نصراً مؤزراً .  
وتقديراً للآثار التي ترقت على نهوض الدولة السعودية من كبونها ، بهذه السرعة الحارقة ، وللانتصارات التي حققتها والأفكار التي نشرتها ، ذهب غير واحد من المؤرخين الى أن ظهور الوهابية لا يُعَدّ مبدأ تاريخ نجد فحسب ، ولكنه .. مبدأ تاريخ الجزيرة العربية الحديث .

قالت صحيفة « الخليج الفارسي » :

« ان تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، وليس تاريخ نجد وحدها ، يبدأ بظهور الوهابية ، لأنها غيرت مجرى الحوادث في الجزيرة تغييراً أساسياً .  
كانت الوهابية في أول أمرها حركة دينية خالصة ، غايتها اصلاح عادات المسلمين والرجوع بهم الى بساطة الاسلام الأول وصفاته ، وكانت رد فعل ضد البدع والخرافات والترف في المعيشة ، ومتى عرضت الوهابية على مقياس القرآن والحديث الصحيح وجدت مطابقة للأصول المجمع عليها .

ان اعتناق عدد محدود من سكان الجزيرة العربية للوهابية ، دون غيرهم من المسلمين ، أراق على الحركة الوهابية في نجد صبغة سياسية وقومية ، وجعل لها خطورة عسكرية . وقد مهدت وحدة العقيدة طريق الخضوع الى سلطة ادارية مشتركة ، فأطاع الأفراد القانون ، وتوحدت البلدان والقرى - التي كانت من قبل في قتال دائم - تحت سلطان امارة واحدة قوية ، حسنة التنظيم ، وبعد أن تحققت هذه الوحدة الداخلية ، نشطت الدعوة الى نشر مبادئها في الخارج ، ولم يكن ذلك غريباً عن الرغبة التي استيقظت في النفوس لتخلص من الحكم الجبازيين والبانين .

ويمكن القول ان الخلافات الدامية التي وقعت بين الوهابيين وبين جيرانهم ، كانت ناشئة عن أخطاء ارتكبها كلا الفريقين ، فقد كان الوهابيون يعتبرون



مناظرهم - من الترك خاصة - مخالفين في سلوكهم للإسلام ، بينما كانت الترك ، مع اعترافهم أحياناً بصحة العقيدة الوهابية ، يكرهون تشدها وميل أتباعها إلى تكفير الآخرين ، وبالنسبة ... أخذ كل فريق يزعم إن الآخر خرج عن دائرة الإسلام ...

والحق أن معارضة الناس للوهابية ، كان يغذيها أشخاص كثر في مكة تأثرت مصالحهم المادية بإبطال الوهابية لتقديس القبور وزيارة المقامات والمشاهد ، ونحو ذلك ، يضاف إلى هذا تشدد الوهابيين في أمور طقيفة جعلوها ذات بال ، كتحريم الدخان والحرير والذهب ، والسبحة ، .

ويقول الدكتور فيليب حتي ، في كتابه « تاريخ العرب » :

« لا يبدأ تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، حتى ظهور الموحدين في منتصف القرن الثامن عشر ، وكانت حركتهم حركة أحياء للدين وتمسك شديد بنصوصه ، بدأها محمد بن عبد الوهاب . فبعد أن طاف في الحجاز والعراق وسورية ، عاد إلى وطنه ، وقد تأثر بفكرة . . وهي أن الإسلام ، كما يمارسه معاصروه ، قد انحراف كثيراً ، علمياً ونظرياً ، عن طريق السنة التي استنبأها القرآن والنبي ، وقرر أن ينقيه هو بنفسه ، ويعيده إلى حالته البدائية زمن السلف الصالح ، وقد استمد إلهامه من ابن حنبل ، كما شرحه ابن تيمية .

وجد هذا المصلح الجديد الملهم في محمد بن سعود خير نصير ، وكان هذا زعيماً من زعماء أواسط الجزيرة وأصبح صهراً لابن عبد الوهاب . وهذه حادثة أخرى يقتون فيها الدين والسلطة ، وقد نتج عنها انتشار سريع لحركة الموحدين ونفوذ ابن سعود في كل وسط الجزيرة العربية وشرقيها .

وكان خصوم الحركة يدعون أتباعها : ( وهابيين ) ، فلصق بهم هذا الاسم . وفي غيرة هؤلاء واندفاعهم لتنقية الإسلام من عقيدة تكريم الأولياء وغيرها من البدع ، اجتاحتهم كربلاء عام ١٨٠١ ، وفتحوا مكة عام ١٨٠٣ ، والمدينة عام ١٨٠٤ ، وهدموا القبور وكل ما يشتم منه رائحة الوثنية ، وفي السنة التالية

هاجموا سورية والعراق ووسعوا ملكهم من تدمر حتى عمان ، فكان أكبر ملك في الجزيرة ، منذ أيام النبي ، وقد فسر نجاحهم بأنه إشارة من الله سبحانه وتعالى الى انه غير راض عن الترك .

## مبدأ تاريخ الشرق الأدنى

كتبت دائرة المعارف الاسلامية - النسخة الانكليزية - الطبعة الجديدة -  
فصلاً عن الوهابية<sup>(١)</sup> تجاوزت فيه قول حتي وصحيفة الخليج الفارسي ، اذ اعتبرت  
الحركة الوهابية بداءة تاريخ الشرق الأدنى كله ، في الزمن الحاضر .  
قالت الأنسكلوبيديا المذكورة :

« ان دعوة ابن عبد الوهاب الذي جعل وحدانية الله فوق كل شيء ، وجرّد  
الديانة من البدع ، قد تجاوزت أصدائها في كل العالم الاسلامي ، من افريقية  
الغربية الى الهند الشرقية ، وهزت أفكار السلفيين الجدد ، وكان لها - كحركة  
عربية مناهضة للسلطنة العثمانية البعيدة الفاسدة - أثر كبير في الحركات القومية التي  
نشأت عند العرب ، في القرنين التاسع عشر والعشرين .

أما في الجزيرة نفسها فقد تمّ ، بفضل الوهابية ، تحقيق وحدة سياسية ، حلت  
حل الاقليمية الضيقة ، ونشأت فيها حكومة نظامية تؤدي رسالتها في صورة حسنة  
لم تعرف الا قليلاً في الماضي ، .

---

(١) التعبير بالوهابية أو (الحركة الوهابية) عندما ننقلها من المصادر فإنها ننقل مصطلحاً لتقريب المعنى من  
باب خطأ شائع أفضل من صواب لا يدرك ، وإلا فليست الوهابية مذهباً ولا طريقة وإنما دعوة لتصحيح  
الممارسات الدينية .

## مؤسس الدولة السعودية الأولى

من هو مؤسس الدولة السعودية ؟  
يتفق أكثر المؤرخين على أن مؤسس الدولة السعودية الأولى في نجد هو :

محمد بن سعود

ويشركون معه في شرف التأسيس : الشيخ محمد بن عبد الوهاب .  
وهناك من يزعم أن مؤسس الملك السعودي ، هو :

سعود بن محمد بن مقرون

وآخرون يقولون أنه :

عبد العزيز بن محمد

فالمؤلفون - كما ترى - موزعون بين محمد ، وأبيه ، وابنه .. وها نحن نرد على أصحاب الرايين الأخيرين .

سعود بن محمد :

يقول فؤاد حمزة ، في كتابه « قلب جزيرة العرب » ، أن سعود الأول .. هو « مؤسس الحكم السعودي » وأنه « كان مقيماً في الدرعية ويمكن بدهائه وحنكته من تثبيت أمارته في الدرعية وما جاورها من الواحات الصغيرة ، ووضع بعمله هذا أساس مملكة آل سعود » .

وفي اعتقادنا أن سعود بن محمد لا يستحق لقب « مؤسس » ، لأنه لا يختلف في شيء عن رؤساء الدرعية الذين سبقوه .

والقول بأن سعود هو مؤسس السعودية ، كالقول بأن عبد الوهاب هو مؤسس الوهابية ، ومنشأ ذلك خطأ في فهم النسبة .. والصواب هو أن السعوديين منسوبون الى « ابن سعود » ، والوهابيين منسوبون الى « ابن عبد الوهاب » ، لا الى عبد الوهاب .

ان تاريخ الدولة السعودية ، بل تاريخ نجد الحديث ، إنما يبدأ بهجرة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الى الدرعية ومبايعة محمد بن سعود له على اخلاص العبادة لله وحده واتباع حكم الاسلام الصحيح في سياسة البلاد ، و « سعود » مات قبل ذلك ، في فترة يشبهونها بالجاهلية ، فكيف تتسب دولة الدعوة .. الى رجل لم يعرف الدعوة ولا صاحبها ؟

عبد العزيز بن محمد :

القائلون بأن مؤسس الملك السعودي هو عبد العزيز بن محمد بن سعود ، يحتجون لرأهم بأن الفتوحات العظيمة جرت في عهده ، فبلغت الدولة من سعة الرقعة وكثرة الموارد وقوة الجيش وعظم الهبة واستقرار الحكم وشيوع الأمن مبلغاً كبيراً ، فخرجت من دائرة « المشيخات » الضيقة الى مجبحة الدولة ...

جاء في كتاب « عرض البريمي » ، الذي قدمه الزعيم العربي عبد الرحمن باشا عزام ، باسم الحكومة العربية السعودية ، الى لجنة التحكيم الدولية ، ما يأتي :

« ... مات محمد بن سعود ، أول حاكم من آل سعود نشط لنشر الدعوة الى التوحيد في سنة ١١٧٩هـ ، في وقت كان فيه نفوذ الحركة ينتشر تدريجاً ، واقتصرت فتوحاته على بعض المناطق في نجد ، وأصبح ابنه عبد العزيز ، الإمام الجديد في الدرعية: مؤسس الدولة السعودية الأولى ، التي دان لها بالطاعة والولاء القسم الأكبر من جزيرة العرب » .

وهذا كلام صحيح ... من حيث اتساع الدولة في زمن عبد العزيز ، ولكننا نرى أن كل دولة تكون في أول أمرها ضعيفة ، محدودة الموارد ، بل هذا شأن كل دولة ناجحة ، تبدأ صغيرة ثم تكبر ، بفعل الزمن و « زخم » الحميرة الأولى ، وما كان التأسيس ، على أي حال ، ليعني الفراغ من البناء والتزيين ، وإنما هو وضع الأساس ، والأساس : رسالة مقدسة ، وإيمان بها ، وجهادٌ في سبيلها . وذلك ما توافر لمحمد بن سعود ، فكان هو المؤسس ، وكان ابنه عبد العزيز ثم حفيده سعود مكملين لرسالته ، ولكل نصيبه من الفخر .

ومنى ذكرنا اسم ابن سعود ، وجب علينا أن نذكر أيضاً اسم إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي وضع معه أسس الدولة ، فكان شريكه في التأسيس ، وإن لم يشاركه في الملك ، وقد عاش بعده ، وشهد كثيراً من الفتوحات التي تمت في عهد عبد العزيز !